

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية
زمن السلطان مراد الأول (761-791هـ / 1361-1389م)
The Byzantine Throne in Ottoman Politics
The Reign of Sultan Murad I
(1361-1389 AD / 761-791 AH)

أ.د/ ياسر مصطفى عبد الوهاب ♦
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة السلطان قابوس، عمان
y.moustafa@squ.edu.om
ORCID iD Link : <https://orcid.org/0009-0003-9326-408X>

تاريخ الاستقبال: 2025 /08/05 تاريخ القبول: 2025/09/15 تاريخ النشر: 2025/09/30

الملخص:

ساهمت الصراعات والحروب الأهلية على العرش البيزنطي خلال القرن الرابع عشر الميلادي في انهيار الإمبراطورية البيزنطية بشكل تدريجي في نهاية الأمر، حيث أتاحت تلك الصراعات الفرصة للقوى المحيطة والطامعة في أملاك الإمبراطورية بالتدخل في شؤونها والتعرف على مواطن الضعف بها، وكانت الدولة العثمانية أهم القوى التي استغلت تلك الصراعات للتوسع على حساب البيزنطيين. لذلك كان اتجاه الباحث إلى تناول دراسة موضوع "العرش البيزنطي في السياسة العثمانية، وتحديدًا زمن السلطان مراد الأول (1361-1389م/761-791هـ)"، حيث تهدف الدراسة إلى رصد مظاهر تدخل العثمانيين

♦ المؤلف المراسل: أ.د/ ياسر مصطفى عبد الوهاب

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية
زمن السلطان مراد الأول (1361-1389 م/761-791 هـ)

في الأوضاع الداخلية لبيزنطة، خاصّة العرش البيزنطي، والوقوف على حقيقة هذا الأمر في سياسة سلاطين الدولة العثمانية، ومنهم مراد الأول. الكلمات المفتاحية: البيزنطي؛ العثمانية؛ مراد الأول؛ العرش؛ القسطنطينية.

Abstract:

During the fourteenth century AD, conflicts and civil wars over the Byzantine throne contributed to the gradual collapse of the Byzantine Empire in the end. These conflicts provided the opportunity for the surrounding powers coveting the empire's property to interfere in its affairs and identify its weaknesses. The Ottoman Empire was the most important power that exploited these conflicts to expand at the expense of the Byzantines. Therefore, the researcher's aim to study the topic of "the Byzantine throne in Ottoman politics, specifically the time of Sultan Murad I (1361-1389 AD/761-791 AH), as the study aims to monitor the manifestations of Ottoman interference in the internal conditions of Byzantium, especially the Byzantine throne, as it examines the nature of the reality of this matter in the politics of the sultans of the Ottoman Empire, including Murad I.

Keywords: Byzantine; Ottoman; Murad I; Throne; Constantinople.

مُقَدِّمَةٌ:

شهد مطلع القرن الرابع عشر الميلادي/الثامن الهجري أحداثاً مهمة، كان أبرزها سقوط دولة سلاجقة الروم سنة 1308م/707هـ، وهو الحدث الذي مثّل بداية مرحلة تاريخية جديدة في آسيا الصغرى. فقد استقرت في المناطق الحدودية الشمالية والجنوبية والغربية، المتاخمة للإمبراطورية البيزنطية، عناصر سكانية عُرفت بالتركماني⁽¹⁾، وتمكنت هذه العناصر من تأسيس نحو ست عشرة إمارة ذات سمات مشتركة، سرعان ما ظهر التنافس بينها. ومن أبرز هذه الإمارات: إمارة أيدين، وإمارة

⁽¹⁾مبارك محمد الطراونة: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة (الأردن، المكتبة الوطنية 2010م)، ص110.

قرمان، وإمارة دلغادر⁽¹⁾ غير أنّ أهم تلك الإمارات هي الإمارة التي نشأت منها الدولة العثمانية، وتنسب إلى قبيلة قايي وزعيمها أرطغرل، الذي أقطعه سلطان السلاجقة قطعة أرض في شمال غربي آسيا الصغرى، بالقرب من الحدود البيزنطية، ليقيم فيها هو وقبيلته وذلك في عام 1232م / 732هـ⁽²⁾ ولما تُوفي أرطغرل خلفه ابنه عثمان، الذي ارتبط اسمه بنشوء الأمة والدولة. وقد ساعد الموقع الاستراتيجي لإمارته على الطريق الرئيس الواصل بين القسطنطينية والمدن الإسلامية في بلاد الشام على جعلها من أهم الإمارات، كما دفع حكامها إلى مهاجمة الأملاك البيزنطية⁽³⁾.

1- خُضُوعُ الإمبراطورِ لِلسُّلْطَانِ مُرَادٍ الْأَوَّلِ:

وعلى الرغم من أنّ العلاقات البيزنطية-العثمانية كانت في تلك الفترة يغلب عليها الطابع العدائي والصدام العسكري، فإنها دخلت مرحلة جديدة مع تولّي السلطان مراد الأول (1361-1389م / 761-791هـ) العرش العثماني. ففي عهده برز التدخل العثماني بوضوح في الشؤون الداخلية لبيزنطة، ولا سيما في الصراع على العرش نفسه. ولم يقتصر مراد على التوسع العسكري في أراضيها الأوروبية، بل حقق كذلك مكسباً استراتيجياً بارزاً حين استولى سنة 1361م / 762هـ على مدينة أدرنة Adrianople، ثاني أهم المدن البيزنطية بعد القسطنطينية، فأصبح على بُعد نحو 137 ميلاً من العاصمة البيزنطية⁽⁴⁾.

⁽¹⁾مخلف عبد الله صالح: إمارة قرمان في السياسة المملوكية العثمانية، 654-888هـ/1256-1483م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ال البيت الأردن، 2015م، ص 47.

⁽²⁾Nicol, D, *The Last Centuries of Byzantium, 1261-1453*, (London, 1972), P. 154

⁽³⁾ ادوارد شيفرد كريسي : تاريخ التراك العثمانيين، ترجمة: احمد سالم سالم، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، ط 1، 2019، ص 23.

⁽⁴⁾ القرماني: اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بيروت د ت، ص 99؛ الحنبلي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج 7، بيروت 1931م، ص 24. راجع ايضاً:

Hidden, A., *The Otoman Dynasty*, (New York, 1912), P. 20; Bre'hier, L *Life and Death of Byzantium*, trans. Margaret Vaughan, (New York, 1977), P. 318

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية زمن السلطان مراد الأول (1361-1389م/761-791هـ)

واصلت القوات العثمانية التقدم داخل الأراضي البيزنطية على امتداد ضفاف نهر ماريتزا⁽¹⁾، أما القائد العثماني لاشاهين فقد قام بمهاجمة مدينة فليبوبوليس Philippopolis والاستيلاء عليها سنة 1363م/765هـ⁽²⁾، وقد شكّل سقوط هذه المدينة حدثاً مفصلياً؛ إذ تمكن السلطان مراد الأول بفضلها من بسط سيطرته على وادي نهر ماريتزا، القريب من مدينة أدرنة، ذلك الوادي الذي كان يمد العاصمة البيزنطية القسطنطينية بكميات كبيرة من القمح والأرز، إضافةً إلى ما يدرّه من ضرائب ضخمة على خزينة الدولة⁽³⁾ وبسقوط فليبوبوليس، أصبح البيزنطيون ولأول مرة محاصرين من قبل العثمانيين في قارتي آسيا وأوروبا في آن واحد⁽⁴⁾.

ومع مرور الوقت، بات واضحاً أن الإمبراطورية البيزنطية لم تعد قادرةً على الصمود أمام التوسع العثماني، ومن ثم وجدنا الإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس John V Paleologos يوافق على عقد معاهدة سلام مع السلطان مراد الأول أواخر سنة 1363م/765هـ. وقد تضمنت المعاهدة عدة بنود، أهمها: قيام الإمبراطور حنا بتقديم المساعدات العسكرية للسلطان العثماني ضد الأتراك في الأناضول، تعهده بعدم محاولة استرداد الأراضي المفقودة في تراقيا، سواء بجهوده المباشرة أو عبر التحالف مع الصرب

(1) إيتسام محمد أحمد العرابي: العلاقات السياسية بين بيزنطة والغرب الأوروبي من 1363-1453م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة كفر الشيخ، 2018م، ص 27.

(2) صلاح محمد ضبيع: فتح القسطنطينية العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد آل باليولوجوس، المكتب العربي للمعارف، ط 1، القاهرة، 2009م، ص 204 فليبوبوليس philippopolis: مدينة حصينة تقع على سفح جبل هيموس إلى الجنوب الشرقي من صوفيا، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها فيليب والد الاسكندر الأكبر، وتسمى اليوم بلوفديف plovde. انظر

محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، دائره المعارف الإسلامية، القاهرة، ج 1، ص 225 (3) محمود محمد الحويري: تاريخ الدوله العثمانيه في العصور الوسطى، ط 1، القاهرة،

2002، ص 51

(4) Hammer, V., *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tr. by. J. Hellert, Tom. I, Paris, 1841-1853, Tom. 1, p. 220; Grousset, R., *L'Empire Du Levant*, (Paris, 1946), p. 610

أو أي أعداء آخرين للعثمانيين، في المقابل، حصل الإمبراطور على وعد من السلطان مراد الأول بعدم الاعتداء عليه. ولا شك أن هذا البند الأخير هو الذي جعل الإمبراطور البيزنطي يبرم هذه المعاهدة. ولا شك أيضاً أن الإمبراطور حنا الخامس أصبح، بمقتضى هذه المعاهدة، تابعاً للسلطان العثماني، حسبما وصف الوضع المؤرخ الفرنسي لويس برهيري Louis Bréhier⁽¹⁾.

مع استمرار الخطر العثماني، قرر الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس القيام بزيارة إلى هنغاريا لطلب المساعدة من ملكها لويس الأول (1343-1382م) ضد العثمانيين، ويرافقه ولداه مانويل وميخائيل، وترك ابنه أندريقوس يدير شؤون البلاد أثناء غيابه. فأبحر في منتصف شتاء عام 1365-1366م / 767-768هـ من البحر الأسود إلى الدانوب عبر الحدود الشمالية البلغارية، لأن الطريق الحربي القديم أصبح تحت سيادة العثمانيين في ذلك الوقت، باحتلالهم مدينتي أدرنة وفيليبوبوليس. فوصل إلى المجر والتقى مع ملكها لويس الأول، ودارت مناقشات بينهما أسفرت عن موافقة ملك المجر، الذي تميّز وقومه بالطبيعة القاسية. وذلك على حد تعبير ديميتريوس كيدونس الذي قد حضر اللقاء. على القيام بحملة صليبية لطرد العثمانيين من أوروبا، ولكن بشرط أن تتحوّل كنيسة بيزنطية إلى الكاثوليكية، وذلك الشرط كان بإيعاز من البابوية. ولقد طلب منه لويس الأول أيضاً أن يترك ابنه مانويل كرهينة لديه ليثبت حسن نواياه بتنفيذ هذا الشرط. ثم تنازل ملك المجر للإمبراطور البيزنطي عن فيدن التي قد احتلها البلغار العام الماضي. ثم أخذ الإمبراطور طريق العودة إلى القسطنطينية⁽²⁾.

ما لبث أن عاد الإمبراطور حنا الخامس إلى مدينة القسطنطينية في أواخر عام 1371م / 773هـ بعد غياب استمر حوالي سنتين في الغرب الأوروبي، لم يحقق خلالها شيئاً يُذكر. ونظراً إلى أنّه كان يعلم أنّ رحلته أثارت غضب السلطان مراد الأول، فقام بإرسال ابنه ثيودور ليقدم في الجيش العثماني على وجه السرعة بعد عودته، لامتصاص غضب السلطان مراد الأول من ناحية، والسعي إلى إيقافه عن القيام

⁽¹⁾ Brehier, L., *Vie et Morte de Byzance*, (Paris 1946), p.452 : Nicol, D., *The Last Centuries of Byzantium*, p.273

⁽²⁾ إبراهيم أحمد مصباح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الأمبراطور حنا الخامس باليولوجوس ص 102

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية
زمن السلطان مراد الأول (1361-1389 م/761-791 هـ)

بفتوحات جديدة في أراضيه من ناحية أخرى. وبالفعل هدأ من غضب السلطان مراد وأرضى كبريائه، وعاد الوفاق بينه وبين الإمبراطور، وإن كان ظاهرياً فقط⁽¹⁾ وجد الإمبراطور حنا الخامس أنه لا مفر من التفاوض مع السلطان العثماني المهيمن على المنطقة آنذاك، وذلك بعد الانتصار الذي حققه العثمانيون على الصرب والذي عزز تواجدهم في منطقة البلقان، فأقدم على إقامة معاهدة سلام جديدة بينه وبين السلطان مراد الأول⁽²⁾. وسرَّ عندما وجد أن السلطان كان على استعداد لإقامة معاهدة سلام معه⁽³⁾. وقد اختلف المؤرخون حول التاريخ الذي أبرمت فيه هذه المعاهدة؛ فالبعض يرى أنها قد تم التوصل إليها في أي وقت ما من سنة 1372 م / 774 هـ، لأنه بحلول شتاء العام التالي 1373 م / 775 هـ، كانت هناك قوات بيزنطية تابعة للإمبراطور حنا الخامس وابنه مانويل تقاتل مع قوات السلطان العثماني في آسيا الصغرى، طبقاً لشروط المعاهدة والتزام حنا كفصل تابع للسلطان العثماني⁽⁴⁾، في حين يرى البعض الآخر أن هذه المعاهدة عُقدت في سنة 1373 م / 775 هـ⁽⁵⁾.

(1) Hammer, V., *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom.I, P.254; Gibbons, H., *The Foundation of the Ottoman Empire*, P.144; Lavalley, T., *Histoire de L'Empire Ottoman*, P.145; Hidden, A., *the Ottoman Dynasty*, P. 23 .

(2) Nicol, D., *The Last Centuries of Byzantium*, P.287.

(3) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، القاهرة، 1992م، ص 253 .

(4) Charanis, P., *The Strife Among the Palacologi and the Ottoman Turks, 1370-1402*, in *Byzantium*, Vol.XVI, Boston, 1942-1943, P.293; Nicol, D., *The Last Centuries of Byzantium*, P.288; Ostrogaskey, G., "The Palaeologi", in *Camb Med.Hist*, Vol.IV, Cambridge, 1966, P.372; Necipoglu, N., *Byzantium Between the Ottoman and the Latins*, Cambridge, 2009, P.120.

(5) Cheyney, E., *The Dawn of A New Era*, U.S.A., 1936. P.314.

أما إينالجيک فعندما لم يستطع تحديد تاريخ هذه المعاهدة قال " وافق الإمبراطور على قبول سيادة السلطان مراد الأول في بداية عام 1372 م (773 هـ) أو 1373 م (774 هـ).

Inalick, H., *The Emergence of the Ottoman*, P.275.

انظر:

على أيّ حال، نصت المعاهدة السابقة على أن يتعهد الإمبراطور حنّا بدفع جزية سنوية إلى السلطان مراد الأول، والاعتراف به سيداً عليه، كما يتعهد أيضاً بتقديم الخدمة العسكرية بنفسه إلى مراد عند اللزوم، وأعطاه ابنه مانويل - الإمبراطور مانويل الثاني فيما بعد - كرهينة، كذلك سمح للأتراك العثمانيين بحرية دخول مدينة القسطنطينية⁽¹⁾. وكل ما سبق في مقابل موافقة السلطان العثماني أن يحكم الإمبراطور ما تبقى له من أملاك الإمبراطورية، متمثلة في القسطنطينية وسالونيك مع بعض الجزر البحرية وجزء من المورة، وبالطبع عقد السلام بين طرفي المعاهدة، وهم البيزنطيون والعثمانيون⁽²⁾.

الجدير بالذكر، أنّ هناك سؤالاً يطرح نفسه، ألا وهو: ما الدافع وراء عقد الإمبراطور حنّا الخامس هذه المعاهدة المذلة مع السلطان مراد الأول؟ إن ندرة الأسباب في المصادر جعلت من الصعوبة معرفة الهدف من وراء عقد الإمبراطور هذه المعاهدة، ولذلك تنوعت الأسباب التي ذكرها المؤرخون؛ فالبعض ذكر أن البابا جوريجوري الحادي عشر Gregory XI (1370-1387م)، عقد مؤتمراً عام 1372م/774هـ لمناقشة الإجراءات التي ينبغي القيام بها بخصوص تجميع قوات غربية لمقاومة العثمانيين على الأراضي البيزنطية، ولكن لم يصل إلى إجراءات فعّالة بخصوص مساعدة بيزنطة، وفقد حنّا الخامس الأمل في قدوم مساعدة عملية من الغرب رغم كل التضحيات التي قدمها، ولهذا لم يكن أمامه سوى خيار السلام مع العثمانيين، وربما أيضاً أنه كان غير قادر على التصدي لهم، فوجد أن خير وسيلة لتلافي الهجوم هو عقد السلام معهم⁽³⁾.

من الملاحظ أن بعض المؤرخين ذكروا أن انتصار السلطان مراد في معركة نهر مارتيزا Martiza⁽⁴⁾ على الصرب، وفتح العثمانيين لمقدونيا وجزء من ألبانيا، وأرسل السلطان

⁽¹⁾Gibbons,H.,*The Foundation of the Ottoman Empire*,P.135-136 .

⁽²⁾Michaud,*Histoire des Croisades*,Tom.III,Paris,1849,P. 377.

⁽³⁾Nicol,D.,*The Last Centuries of Byzantium*,P.287;Charanis,P., *The Strife Among the Palacologi and the Ottoman Turks*,P.293-294 .

⁽⁴⁾ معركة مارتيزا Martiza (ماريكا Marica) 1371م: كانت بين الجانبين العثماني بقيادة مراد الاول والصربي بقيادة فوكاشين Vukasin وأوجليشا Ugliesha . للمزيد من التفاصيل انظر:

Treadgold,W.,*A History of Byzantine State and Society*, Stanford,1997,P.780.

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية
زمن السلطان مراد الأول (1361-1389م/761-791هـ)

مراد قائده لالا شاهين لفتح تراقيا، مما أجبر الإمبراطور حنّا الخامس على توقيع هذه الاتفاقية⁽¹⁾، كما أشار البعض إلى أن رغبة الإمبراطور البيزنطي في البقاء على عرش الإمبراطورية البيزنطية والمحافظة على ما تبقى له من أراضٍ في تراقيا هي التي دفعته إلى إبرام هذه المعاهدة⁽²⁾. والمرجح في كل هذه الأسباب التي دفعت حنّا الخامس إلى توقيع هذه المعاهدة مع السلطان مراد الأول، وإن كان السبب الأقرب هو انتصار مراد على الصرب في موقعة نهر مارتيزا، والذي ترتب عليه انقطاع وسائل الاتصال البرية بين القسطنطينية والغرب الأوروبي⁽³⁾

ويرى أحد المؤرخين أن الخضوع المهين الذي قدمه الإمبراطور حنّا الخامس وأفراد أسرته إلى السلطان مراد قد أطل في عمر الإمبراطورية البيزنطية كثيراً، لا سيما وأن مراد كان في إمكانه الاستيلاء على القسطنطينية في سنة 1370م/772هـ⁽⁴⁾. وعلى الرغم من ذلك حكم بعض المؤرخين حكماً قاسياً على حنّا بسبب هذه المعاهدة، فقد وصفوه بالجبن لشراء السلام من السلطان مراد وخضوعه له⁽⁵⁾. وأشار البعض الآخر أن الإمبراطورية كان من مقاصدها الاستفادة من وجود مراد في آسيا، بدلاً من مساعدته بفرقة عسكرية⁽⁶⁾

لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نعتبر تلك الاتفاقية نوعاً من العلاقات البيزنطية العثمانية التي تمثلت في التعايش السلمي بين الطرفين، أو بالأحرى معاهدة

(1) Inalick, H., *The Ottoman Empire: the Classical Age, 1300-1600*, London, 1973, P. 13 .

انظر: نيقولا فاتان: صعود العثمانيين 1362-1451م، ج1، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م، ص53 .

(2) Derekson, D., *The Crescent and the Cross*, New York, 1964, P. 115; Schevill, F., *The Balkan Peninsula*, New York, 1933, P. 189 .

(3) Schevill, F., *The Balkan Peninsula*, P. 184 .

(4) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص254 .

(5) Hammer, V., *Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom. I, P. 254; Miller, W., *The Balkans, Romania, Bulgaria, Servia*, New York, 1899, P. 286 .

(6) Emmenul, B., *Histoire de L'Europe*, Pairs, 1945, P. 299 .

صلح وسلام حقيقية، لأنها حولت بيزنطة إلى وضع التابع للعثمانيين، ليس فترة حنا الخامس وحده، وإنما طوال عهد آل باليولوجوس الذين جاؤوا بعده. ولا يمكننا أيضًا أن نقول إن حنا الخامس قد اختار تلك الاتفاقية أو سياسة التعايش السلمي مع العثمانيين، لأنه كان مكرهًا على توقيعها نظرًا لتخلي الغرب الأوروبي عن مساعدته في تلك الفترة، بل إن حنا الخامس أصبح بهذه الاتفاقية تابعًا للسلطان، دافعًا للجزية، وعليه القيام بخدمة السلطان العسكرية، وهذا ما حدث بالفعل عندما صاحب الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس السلطان العثماني مراد في حملته على آسيا الصغرى، وذلك في أوائل عام 1373م/775هـ، ليحارب معه تحت رايته، لتصبح بيزنطة ولاية تابعة للعثمانيين، مما جعل البابوية تعتبره ضمن حلف الكفار العثمانيين⁽¹⁾. ومن ثم فإن حنا الخامس ربما يكون قد أخطأ عندما اتخذ سياسة عدائية تجاه تلك القوة الصاعدة منذ الوهلة الأولى منذ توليه العرش عام 1361م.

2- ثَوْرَةُ وَلَدَيِ الْإِمْبَرَاطُورِ وَالسُّلْطَانِ عَلَى وَالِدَيْهِمَا وَالْقَضَاءُ عَلَيْهِمَا:

أثناء غياب حنا الخامس في حملته على آسيا الصغرى مع السلطان العثماني، جعل ابنه أندرونيقوس الرابع نائبًا عنه في القسطنطينية، ولكن حدث أن قاد الأخير حركة عصيان ضد أبيه مستغلًا غيابه، وقام بالتحالف مع صاووجي – Sawgi أحد أبناء مراد الأول – وعقدوا اتفاقًا فيما بينهم، وذلك في مدينة أدرنة في الأول من مايو عام 1373م⁽²⁾، وتضمن الاتفاق ثورتهم على والديهما وإزاحتهم من فوق عرشهما، وذلك بأن يقوم أندرونيقوس الرابع بقتل أبيه الإمبراطور حنا الخامس ويجلس هو على العرش البيزنطي، وأن يقوم صاووجي بقتل والديه السلطان مراد⁽³⁾.

من جانبنا، وفي محاولة لتوضيح ما حدث، نُرجِّح وجودَ حقدٍ كانا يحملانه ضدَّ أبويهما، وذلك لتفضيل إخوتهم عليهم، فكان ذلك الدافع الذي جعلهم

(1) Nicol, D., *The Last Centuries of Byzantium*, PP.276-277 .

(2) Edward S., *History of the Ottoman Turks*, Beirut, 1968, p.25.

(3) George Phrantzes, *Annales, 1259-1477*, ed, by I Bekker, C. S H. B ,Bonne, 1838, p50 ; Clavigo, *Emabssy to Tamerlane ,1403-1406*, Tr. From the Spanish by Guy Lestrang, First Published, 1928, p.85 London,, *to the Ottoman Turks*,

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية
زمن السلطان مراد الأول (1361-1389 م/761-791 هـ)

يَتَّفَقُونَ عَلَى الإِطَاحَةِ بِوَالِدَيْهِمَا⁽¹⁾. وَيُضَيِّفُ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ لِلأَمْرِ تَوْضِيحًا بِالْقَوْلِ: إِنَّ سَبَبَ الثَّوْرَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا أُنْدُرُونِيْقُوسُ ضِدَّ وَالِدِهِ هُوَ الْإِنْتِقَامُ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ عَزَلَهُ مِنْ مَنَصَبِ النَّائِبِ وَإِدَارَةِ شُؤُونِ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الْغَرْبِ الْأُورُوبِيِّ وَمَنْحَهَا إِلَى ابْنِهِ الْآخَرِ مَانُوبِلِ الثَّانِي، وَعِنْدَمَا قَرَّرَ أُنْدُرُونِيْقُوسُ الْإِنْتِقَامَ مِنْ وَالِدِهِ لَمْ يَجِدْ أَمَامَهُ سِوَى الْأَمِيرِ الْعُثْمَانِيِّ صَاوُوجِي الَّذِي شَارَكَهُ فِي الطَّيْعِ وَالْمَشَاعِرِ وَالْغَيْرَةِ، هُوَ الْآخَرُ مِنْ أَخِيهِ الْأَصْغَرِ بَايَزِيدَ، بِسَبَبِ اسْتِحْوَاذِ الْآخِرِ عَلَى حَبِّ وَالِدِهِ السُّلْطَانِ مَرَادٍ⁽²⁾.

فِي السَّادِسِ مِنْ مَآيُو سَنَةِ 1373 مَ أُعْلِنَ أُنْدُرُونِيْقُوسُ الرَّابِعُ ثَوْرَتَهُ ضِدَّ وَالِدِهِ، وَضَمَّ الْقَوَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ يَدِهِ إِلَى قَوَاتِ الْأَمِيرِ صَاوُوجِي، وَقَامَا مَعًا بِثَوْرَةٍ فِي الْمَدِينِ الْبِيزَنْطِيَّةِ وَالْعُثْمَانِيَّةِ، وَطَالَبَا سَكَاتَهَا بِالْإِعْتِرَافِ بِهِمَا. وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ أَنْبَاءُ خُرُوجِ صَاوُوجِي عَلَى أَبِيهِ، قَامَ السُّلْطَانُ مَرَادٌ بِاسْتِدْعَاءِ الْإِمْبَرَاطُورِ حَتَّى الْخَامِسِ عَلَى الْفُورِ وَلَاقَاهُ عَلَى مَا حَدَثَ مِنْ ابْنِهِ، فَتَقَدَّمَ الْإِمْبَرَاطُورُ بِالْإِعْتِزَارِ مِنَ السُّلْطَانِ الْعُثْمَانِيِّ عَمَّا بَدَرَ مِنْ ابْنِهِ، وَأَوْضَحَ أَنََّّهُ بَرِيءٌ تَمَامًا مِنْ أَفْعَالِ أُنْدُرُونِيْقُوسِ⁽³⁾. وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنََّّهُ تَمَّ الْإِتْفَاقُ بَيْنَ السُّلْطَانِ الْعُثْمَانِيِّ مَرَادٍ وَالْإِمْبَرَاطُورِ حَتَّى الْخَامِسِ عَلَى أَنََّّهُ عِنْدَمَا يَتِمُّ الْقَضَاءُ عَلَى هَذِهِ الثَّوْرَةِ يَقُومُ الْإِثْنَانُ بِحَرَمَانِ ابْنَيْهِمَا مِنْ نِعْمَةِ الْبَصَرِ وَقَتْلِهِمَا، وَكَانَ ذَلِكَ إِنْذَارًا لِكُلِّ مَنْ تَسَوَّلَ لَهُ نَفْسُهُ بِأَنْ يَقُومَ بِثَوْرَةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ⁽⁴⁾. وَبِالْفِعْلِ تَحَرَّكَ كَلَا الْعَاهِلِينَ لِلْقَضَاءِ عَلَى تِلْكَ الثَّوْرَةِ،

⁽¹⁾Hearsy, *City of Constantine*, p.229; Creasy, *History of the Ottoman Turks*, p.25.

⁽²⁾Hammer, *Histoire de L'Empire Ottoman*, Tom.I, pp.254-255; Brehier, *Vie et Morte de Byzance*, p.459; Nicol, D., *The Last Centuries of Byzantium*, p.287; Gibbon, *The Foundation of the Ottoman Empire*, p.149; Alexander Millingen, *Byzantine Constantinople*, London, p.162.

⁽³⁾Phrantzes, G., *Annales, 1259-1477*, Bonne, 1838, p.50; Charanis, P., "Internal Strife in Byzantium during the fourteenth century", p.293; Hammer, *Historie de L'Empire Ottoman*, Tom.I, p.255; Nicol, D., *The Last Centuries of Byzantium*, p.288; Ostrogorsky, "The Palaeologi", p.372.

⁽⁴⁾Clavigo, *Embassy to Tomerlane, 1403-1406*, Tr. From the Spanish by Guy Lestrang, First Published, pp.85-86; Loenertz (R.), "La Premiere

وتقدّمًا على رأس جيشٍ أكثُرُه من العثمانيين ⁽¹⁾. ولقد ساعد الإمبراطور حنّا الخامس في نقل قواتِ السُلطان العثماني من آسيا إلى أوروبا ⁽²⁾، وتقدّم السُلطان مراد بقواته حتى أصبح على مقربةٍ من أبيكريدوم Apicridium – إحدى ضواحي القسطنطينية – حيث قام بمحاصرة المتمردين المتمركزين على نهر مارتيزا والقضاء على ثورتَيْهما ⁽³⁾

حدث أن قام السُلطان مراد بنفسه وبدون حراسةٍ بعبور النهر بجواده إلى الشاطئ الآخر، ونادى في الجنود الموجودين في معسكر ابنه، وطالهم بالعودة إلى سابق عهدهم وواجبهم، واعدًا إيّاهم بالصفح، وبالفعل عندما سمع الجنود صوته وأدركوا أنّه سلطانهم، قاموا بالهروب من المعسكر تاركين الأمير صاووجي ومعه أندرونيقوس الرابع؛ وذلك خوفًا من العقاب الذي سيحلّ بهم لو استمروا في تلك الثورة، وتقدّموا إلى السُلطان العثماني والتمسوا منه العفو والسماح، وأخبروه أنّهم كانوا مُجبرين على طاعة أوامر ابنه صاووجي ⁽⁴⁾. ونجح السُلطان العثماني مراد في القبض على الأميرين المتمردين أواخر 1373م/775هـ ⁽⁵⁾. وعلى الفور قام بتنفيذ ما وعد به الإمبراطور حنّا الخامس، فعندما وقع ابنه في يده

Insurrection, Andronic IV Paleologue (1373) at Echo D'Orient, Tom XXXVIII, Bucarest, 1939, p.338 ; Hammer, *Historie de L'Empire Ottoman*, Tom.I, p.255; Creasy, *History of the Ottoman Turks*, p.25.

⁽¹⁾ Alix, *Precis De L'Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom.I, p.17.

⁽²⁾ Charanis, "An Important Short Chronicle of The Fourteenth Century", p.294.

⁽³⁾ Doukas, M., *Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, PP.79-80; CF.also: Barker, J.W., *Manuel II Palaeologus, 1391-1425*, A Study in Late Byzantine Statesmanship, New Jersey, 1969, PP.14-23; Brehier, L., *Vie et Mort de Byzance*, P.323; Hidden, A., *The Ottoman Dynasty*, PP. 23-24 .

⁽⁴⁾ Hammer, *Historie de L'Empire Ottoman*, Tom.I, pp.255-256; Alix, *Precis De L'Histoire De L'Empire Ottoman*, Tom.I, p.17; Creasy, *History of the Ottoman Turks*, p.25.

⁽⁵⁾ Pharantzes, *Annales*, 1259-1477, p.51; CF.also: Loenertz, "La Premiere Insurrection, Andronic IV Paleologue (1373)", p.329; Hammer, *Historie De L'Empire Ottoman*, Tom.I, p.256; Nicol, D., *The Last Centuries of Byzantium*, p.288.

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية
زمن السلطان مراد الأول (1361-1389 م/761-791هـ)

أصدر أوامرَ بِسَمَلِ عِينِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ ⁽¹⁾. ثم قام بإرسال أندرونيقوس الرابع فور القبض عليه مُكَبَّلًا بالسلاسل إلى والدِهِ حَتَّى الخامس لتنفيذ ما اتَّفَقا عليه مسبقًا، وهو القيامُ بِسَمَلِ عِينِي ابنه أندرونيقوس لأنَّه كان مذنبًا تمامًا مثل صاوجي، وأخبره أنَّه إذا لم يَقم بِتنفيذ أوامره مثلما فعل هو مع ابنه فإنَّه سيشعل ضدهُ حربًا لا تراجع فيها ⁽²⁾. وأمر السُلطان مراد الإمبراطور حَتَّى الخامس بإزالة تلك التحصينات التي بناها خلف أحد أبواب القسطنطينية، والمسعى الباب الذهبي، حسبما أشار كلُّ من هيرسي Hearsy وروبرت برونج Browning ⁽³⁾. وافق الإمبراطور حَتَّى الخامس على سَمَلِ عِينِي ابنه أندرونيقوس الرابع، ولم يكتفِ بذلك؛ بل قام بِسَمَلِ عِينِي الطفل حَتَّى بن أندرونيقوس، ولكنَّ أندرونيقوس لم يفقد بصره كاملاً، بل فقد الرؤيةَ فقط لإحدى عَيْنَيْهِ ⁽⁴⁾ وتَمَّ سجنُهُ في قلعة أنيماس Anemas، ووُضِعَ معه زوجته وابْنُهُ الطفل حَتَّى ⁽⁵⁾، وقام

⁽¹⁾Doukas,M., *Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*,p.79;Clavigo,*Empassy to Tamerlane,1403-1406*,p.86;Phrantez, *Annales,1259-1477*,p.51; CF.also: Hammer,*Histoire De L'Empire Ottoman*,Tom.I,p.256;Creasy,S.,*History of the Ottoman Turks*,pp.25-26; Hidden,Alexander .W., *The Ottoman Dynasty*,New-York,1912,pp.23-24;Lavallee,*Histoire De L'Empire Ottoman*,p.145.

⁽²⁾Doukas,M., *Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*,p79; CF.also: Charanis,"*The Strife Among the Palaeologi and The Ottoman Turks*,"1370-1402",p.295.

⁽³⁾Hearsy, *City of Constantine,324-1453*,p.229 Browning Robert, *The Byzantine Empire*,New-York,1980,p.175.

طارق منصور: القسطنطينية في الكتابات الصليبية ، دراسة تحليلية للروايات الصليبية عن مدينة قسطنطين، منشور في كتاب بيزنطة مدينة النظم والحضارة، ص 29.

⁽⁴⁾Clavigo, *Empassy to Tamerlane,1403-1406*,p.86; Doukas,M., *Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks*,p,80 ;Hammer,*Histoire De L'Empire Ottoman*,Tom.I,p.257; Pears Edwin,*The Destruction of the Creek Empire and The Story of Constantinople by the Turks*,New-York,1968,p,94;Hearsy,*City of Constantine,324-1453*,p.229.

⁽⁵⁾Doukas,M.,*Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*,P. 86; CF.also:Brehier,L., *Vie et Mort de Byzance*,P.459;Ostrogaskey,G.,*"The*

الإمبراطور أيضًا بسحب اللقب الإمبراطوري من ابنه أندرونيقوس الرابع، واستدعى ابنه الآخر مانويل من مدينة سالونيك، وذلك في 25 سبتمبر سنة 1373م حيث جعله إمبراطورًا شريكًا ووليًا للعهد⁽¹⁾.

كانت أبرز نتائج تلك الثورة التي قام بها كلٌّ من أندرونيقوس الرابع وصاوجي، أنَّها أكَّدت أنَّ الإمبراطور حنَّا الخامس لا يزال تابعًا للسلطان العثماني ويقوم بتنفيذ أوامره. ومن جانبٍ آخر كان من الملاحظ أيضًا أنَّه على الرغم من فشله في مؤامراته ضدَّ والده الإمبراطور حنَّا الخامس، وما ناله من عقابٍ جرَّاء هذه الثورة، فإنَّ ذلك لم ينه طموحات أندرونيقوس المتمثلة في الإطاحة بوالده عن العرش؛ فعلى الرغم من أنَّه كان يرى بإحدى عينيَّه، وموجودًا في السِّجن، إلَّا أنَّه كان يتحَيَّن الفرصة للإطاحة بوالده.

3- السُّلطان يُساندُ أندرونيقوسَ في اغتِلائه العرشَ البيزنطيَّ:

مع مرور الوقت وجدنا الصراع على العرش البيزنطي لم يقتصر على تدخل العثمانيين فحسب ، بل تم استغلاله في النزاع بين جنوة والبندقية حول امتلاك جزيرة تيندوس الواقعة على مدخل مضيق الدردنيل فالمعروف أنَّ الإمبراطور حنا الخامس كان قد وعد بالتنازل عنها إلى البنادقة في سنة 1370م/772هـ، ولهذا وصلت إلى القسطنطينية في مارس 1376م سفارة لإتمام هذه الصفقة، ونظرًا لرغبة البنادقة الملحة في حيازة هذه الجزيرة، فقد عرضوا على حنا الخامس إعطاء مبلغ ثلاثين ألف دوقية⁽²⁾، والعديد من الامتيازات المغرية، وترجع كل هذه الامتيازات التي قدمتها البندقية، إلى أهمية جزيرة تيندوس فهي من جزر الأرخبيل القليلة التي بقيت تحت

palacologi ", P.372 . Millinge,A.,Byzantine Constantinople,London,no date,p.146.

⁽¹⁾Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium,P.288;Castellan,G.,History of the Balkans, P.52.

⁽²⁾ إدوارد شيفرد كريسي :تاريخ الأتراك العثمانيين، ترجمة أحمد سالم سالم، ط ١، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، الدوحة، 2019م، ص53.

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية
زمن السلطان مراد الأول (1361-1389 م/761-791 هـ)

سلطة الأباطرة البيزنطيين، أو عادت إلى سلطتهم، واكتسبت بفضل موقعها عند مدخل مدينة أبيدوس Abydos أهمية كبرى.⁽¹⁾

كان رد فعل الجنوية على ماسبق، هو قيامهم بمساعدة أندرونيقوس في هروبه من حبسه وهو ما حدث بالفعل في 1376 م/778 هـ⁽²⁾ وعقب ذلك قام الجنوية بعلاج عيني أندرونيقوس حتى تحسنت رؤيته إلى حد ما، واتفقوا على مساعدته في استرداد عرشه مقابل تنازله عن جزيرة تيندوس لهم.⁽³⁾

كان أندرونيقوس على يقين أنه لن يستطيع اعتلاء العرش البيزنطي مستنداً على مساندة الجنوية فقط، وأن ذلكم الأمر لن يتم إلا بمساعدة العثمانيين، ومن ثم اتصل بالسلطان مراد الأول، وطلب منه إرسال المساعدات العسكرية التي تمكنه من دخول القسطنطينية وأخبره أنه في مقابل هذه المساعدة سيزوجه أخته، ولكنها ماتت قبل تنفيذ الاتفاق⁽⁴⁾، ويرجح المؤرخ نيكول Nicol أن الإمبراطور تعهد كذلك بدفع جزية

(1) سهر محمد مليجي علي: مدينة أبيدوس البيزنطية حتى سقوط القسطنطينية عام 1402 م، المؤتمر الدولي السنوي الثالث لقطاع الدراسات العليا والبحوث، م 3، مج 1-2، جامعة عين شمس كلية البنات لأداب والعلوم والتربية، أسوان 2019 م، ص 124.

(2) Doukas, M., *Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, P. 80; Charanis, P., *The Strife Among The Palaeologi and the Ottoman Turks*, P. 296; Ostrogaskey, G., "The palaeologi", P. 372; CF. also: Brehier, L., *Vie et Mort de Byzance*, P. 459; Gibbons, H., *The Foundation of the Ottoman Empire*, P. 152; Castellan, G., *History of the Balkans*, P. 52; Ostrogaskey, G., "The Palaeologi", P. 372; Brehier, L., *Vie et Mort de Byzance*, P. 459.

(3) Charanis, P., *The Strife Among the Palaeologie and the Ottoman Truks*, P. 353

(4) Doukas, M., *Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, P. 80; CF. also: Necipoglu, N., *Byzantium Between the Ottoman and the Latins*, P. 121.

راجع ايضاً: إبراهيم مصباح: السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور حنا الخامس، ص 163.

سنوية ضخمة، كما وعده بالتنازل عن مدينة غاليبولي له، وأن يقدم له فروض الولاء والطاعة.⁽¹⁾

أدرك السلطان مراد الأول أن عليه استغلال الفرصة بعد الامتيازات التي وعد بها من جانب الابن المتمرّد على أبيه، فأرسل قواته إلى أندرونيقوس تقدم بها الأخير وفرض الحصار على القسطنطينية، حيث دخلها من باب بيجه - باب الفضة Selivri Kopoussi حاليا-⁽²⁾ وعلى الفور ألقي القبض على والده وأخويه مانويل وثيودور، وسجنهما في نفس القلعة التي كان هو محبوسا فيها وهي قلعة أنيماس⁽³⁾

وعلى الرغم من تقدير أندرونيقوس للجنوية في مساعدته ومن ثم تنازله لهم على مدينة تيندوس ، إلا أنه يعلم تماما أن نجاحه في الوصول للعرش البيزنطي يرجع بالدرجة الأولى إلى المساعدات العسكرية التي قدمها السلطان مراد الأول، وعلى هذا الأساس تنازل له عن مدينة غاليبولي، كما ذهب له إلى آسيا الصغرى، ليرتب معه إجراءات نقل المدينة إلى السيطرة العثمانية ، وبهذا أصبحت المدينة تحت السيادة العثمانية سنة 1377م/779هـ⁽⁴⁾ وهكذا فإن الجهود التي بذلتها حملة الكونت أماديوس السادس كونت سافوي ضاعت سدى وعادت المدينة إلى العثمانيين دون قتال ، وكانت خسارة الإمبراطورية البيزنطية لمدينة غاليبولي الاستراتيجية هي الثمن لوصول أندرونيقوس الرابع للعرش البيزنطي.

4- وُصُولُ يُوْحَنَّا الْخَامِسِ إِلَى الْعَرْشِ بِمُسَاعَدَةِ السُّلْطَانِ:

من جديد وجدنا السلطان العثماني يتدخل في الشأن الداخلي البيزنطي ، ذلك عندما تمكن الإمبراطور حنا الخامس وابنيه مانويل وثيودور من الهروب من قلعة أنماس من يونيو سنة 1379م/781هـ⁽⁵⁾ ، وكما كان شعور أندرونيقوس من قبل ، كان الإمبراطور حنا الخامس يدرك أيضا أنه بدون الحصول على مساعدة العثمانيين، لن

⁽¹⁾Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium, P.289 .

⁽²⁾Hammer,V.,Histoire De L'Empire Ottoman,P.292 .

⁽³⁾Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.80 .

⁽⁴⁾Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium,PP.291-292 .

⁽⁵⁾Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.80
Ostrogaskey,G.,*"The Palacologi"*,P.372;Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.154 .

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية
زمن السلطان مراد الأول (1361-1389 م/761-791 هـ)

يتمكن من استعادة عرشه، فتوجه إلى بلاط السلطان مراد الأول، ولا شك أن مراد كان سعيدا بهروبه وقدمه إليه لأنه وجد نفسه فجأة في موضع القادر على تولي من يشاء وعزل من يشاء من أبناء أسرة باليولوجوس⁽¹⁾، فيعلق أحد المؤرخين المحدثين على ذلك قائلا: "وهكذا دق السلطان مراد الأول مسماره في نعش بيزنطة".⁽²⁾

ما لبث وأن عقد الإمبراطور حنا الخامس اتفاقية مع السلطان مراد الأول مقابل الحصول على المساعدة للحصول على العرش، وفيها تعهد حنا بعدة بنود، وتكفل بتنفيذها فور عودته إلى عرشه، ونصت الاتفاقية على ما يلي:

- وعد الإمبراطور بدفع جزية سنوية إلى العثمانيين مقدارها حوالي ثلاثين ألف بيزانت Byzant⁽³⁾

- تعهد حنا بتزويد السلطان بفرقة عسكرية من القوات البيزنطية، تعدادها حوالي اثني عشر ألف جندي، سواء كانوا فرساناً أم مشاة، لتشارك العثمانيين في حروبهم، على أن يكون ذلك بشكل سنوي.

- تعهد حنا الخامس وابنه مانويل بأن يقدموا إلى السلطان مراد الأول سنويا فروض الولاء والطاعة الواجبة على أتباعه تجاه سيدهم.⁽⁴⁾

⁽¹⁾Nicol,D.,*The Last Centuries of Byzantium*,P.292;Lavallee,T.,*Histoire, De L'Empire Ottoman*,P.198.

⁽²⁾Waugh,W.T.,*The Councils of Constance and Basel*,Vol.VIII,in Camb Med, Cambridge, 1966,P.429.

⁽³⁾ البيزانت Byzant : هو عملة ذهبية بيزنطية، وقد سمي بذلك نسبة إلى بيزنطة، وقد تداول هذا البيزانت في أوروبا بكثرة في القرن الثالث عشر، ويبلغ متوسط قيمته حوالي تسع شلنات إنجليزية، أو ما يعادل 72/1 رطل من الذهب أي حوالي 14.4 فرانكا ذهبيا، وقد أخذ البيزانت في الضعف منذ عهد آل كومنين، وفي عهد أسرة باليولوجوس انهارت قيمته بسرعة حتى أصبح سدسي قيمته الأولى، وفقد ثقة الناس فيه حتى أصبحوا لا يقبلون التعامل به خارج حدود الإمبراطورية. انظر:

أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص 210 هامش(1)؛ جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على مصر، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية 1969 م، ص 216 هامش(3).

⁽⁴⁾Sphrantzes,G.,*Annales*,PP.55-56;CF.also:Charanis,P.,*The Strife Among The Palaeologi and the Ottoman Turks*,P. 292 .

(4) اعتبار أصدقاء وأعداء العثمانيين أصدقاء وأعداء للإمبراطورية البيزنطية.⁽¹⁾ في الوقت نفسه، أراد السلطان مراد الأول أن يكتسب شرعية في عزل أندرونيقوس الرابع الذي أصبح عديم الجدوى، فأرسل أحد ضباطه إلى شعب القسطنطينية، لاستطلاع رأيهم فيمن يرغبون في توليته العرش البيزنطي، وجاء الاستطلاع في صالح الإمبراطور حنا الخامس وابنه مانويل، وبجانب ذلك قدم حنا الخامس تنازلات أكبر جعلت السلطان مراد الأول أن يحول الدفة نحوه، ويساعده بجانب البنادقة في استعادة عرشه المفقود، وفي حقيقة الأمر لم يكن يهم السلطان رأى سكان القسطنطينية بقدر ما كانت تهمة المكاسب التي سيحصل عليها من أباطرة بيزنطة، فالذي يقدم تنازلات أكبر يقف بجانبه، ولذلك لم يتوان السلطان مراد على تقديم القوات البرية اللازمة إلى الإمبراطور حنا وابنه مانويل، بجانب تقديم البنادقة المساعدات البحرية لهم، وعن طريق ذلك تمكن حنا من دخول القسطنطينية، وعلى الرغم من المقاومة العنيفة التي أبدتها القوات الجنوية المساندة للإمبراطور أندرونيقوس الرابع الذي هرب إلى جالاتيا، أخذ معه والدته الإمبراطورة هيلينا، وأخواتها ووالدها المسن حنا السادس كانتاكيوزين John vi Cantacuzenus كرهائن وذلك في الأول من يوليو عام 1379م، وبعد أن أصبح حنا الخامس مسيطراً بالكامل على القسطنطينية، تم الاتفاق بين الأباطرة المتنافسين؛ الأب والابن على أن يرتقي حنا الخامس العرش ويحتفظ به حتى وفاته، ثم ينتقل إلى ابنه أندرونيكوس الرابع كوريث للعرش بدلا من مانويل هو وابنه يوحنا السابع -وذلك بعد أن حرموا رسمياً عام 1373م - وتم هذا الاتفاق في مايو 1381م⁽²⁾ ولكن بوفاه أندرونيقوس الرابع في

⁽¹⁾Hammer,V.,*Histoire De L'Empire Ottoman*,PP.296-297.

⁽²⁾Doukas,M.,*Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*,PP. 80-81 .

تم منح أندرونيقوس الرابع حكم مناطق بايندوس Panidos وسليمبريا Selymbria، دانيون Daneion، هراقلي Herakleia، رايدسيتدوس Rhaidestos. انظر : هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج2، ص 190 .

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية
زمن السلطان مراد الأول (1361-1389 م/761-791هـ)

الثامن والعشرين من شهر يونيو سنة 1385م ، وبوفاته أنقذت الإمبراطورية البيزنطية من فوضى واضطراب جديد، وعاد مانويل كوريث شرعي ثانية⁽¹⁾.

5- السُّلْطَانُ يَفْرِضُ هَيْمَنَتَهُ عَلَى الْعَرْشِ الْبِيزَنْطِيِّ:

فاجأ مانويل الجميع و أعلن تحديه للسلطان مراد، وذلك عن طريق استيلائه على عدة مدن عثمانية في مقدونيا، ومن بينها مدينة سيريس Serres - الواقعة شمال شرق مدينة سالونيك - والتي قام بذبح حاميتها العثمانية، ويعلق أحد المؤرخين على ذلك بأن هدف مانويل من الأعمال الحربية في مقدونيا كان طرد الأتراك العثمانيين منها والتخلص من تدخل العثمانيين في الشأن البيزنطي⁽²⁾ وعلى الفور أرسل السلطان مراد قوة كبيرة استطاعت استرداد سيريس وقامت بحصار مدينة سالونيك، وأثناء الحصار طلب مانويل المساعدة من والده دون جدوى، وفيما أبدى مانويل مقاومة شديدة ضد العثمانيين، ولكنه في النهاية وجد أنه لا جدوى من تلك المقاومة، وما كان منه إلا أن هرب من المدينة في 6 أبريل سنة 1387م، وتركها تواجه مصيرها حتى استسلمت⁽³⁾ وهكذا عادت هذه السياسة على مانويل بأوخم العواقب، حيث إنها لم تؤدي فقط إلى نشوب العداء بينه وبين والده الإمبراطور حنا الخامس الذي كان هدفه المحافظة على السلام بينه وبين السلطان مراد الأول، ولكنها أثارت الأخير ضد بيزنطة.

توجه مانويل الثاني بعد هروبه إلى القسطنطينية، ولكن رفض والده استقباله؛ وذلك خوفا من جلب عداوة السلطان مراد الأول مرة أخرى عليه، بالإضافة إلى تخلي الجنوبية عنه أيضا خوفا من السلطان، فلم يكن أمامه طريق سوى أن يذهب إلى خصمه القوي السلطان العثماني مراد الأول وحاول تقبيل قدميه وأعلن طاعته وولاءه

¹⁾Gibbons,H.,*The Foundation of the Ottoman Empire*,P.151;Inalick,H.,*The Ottoman Empire*, P.14 .

راجع أيضا: محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1981م، ص370

⁽²⁾Hammer,V.,*Histoire De L'Empire Ottoman*,Tom.I,P.259;Gibbons,H.,*The Foundation of the Ottoman Empire*,P.151;Brehier,L.,*Vie et Mort de Byzance*,P.460.

⁽³⁾Charanis,P.,*"An Important Short Chronicle of Fourteenth Century*,P.351;Nicol, D.,*The Last Centuries of Byzantium*,P. 297-298 .

وتبعيته له وطلب منه الصفح والعفو عنه، فاستقبله مراد بحفاوة بالغة وأحسن وفادته وأكرمه كرمًا شديدًا وقبل اعتذاره، بل تشفع له عند والده حنا الخامس من أجل السماح له بدخول العاصمة القسطنطينية⁽¹⁾، وحسبما تشير إحدى الدراسات الحديثة أن الإمبراطور حنا الخامس لم يكن في استطاعته أن يرفض استقبال ابنه مانويل في القسطنطينية، طالما أن السلطان مراد الأول هو الذي أمر بذلك، ولكن حنا بدلا من ذلك عاقبه بنفيه إلى جزيرة لمنوس Lemnos - شمال بحر إيجه - وذلك في أواخر عام 1387م⁽²⁾ وأكد ما حدث على مدى القوة الفعلية لسلطة السلطان مراد الأول التي كان يمارسها عملياً على أفراد أسرة باليولوجوس، ومدى قوة العثمانيين وضعف الإمبراطورية البيزنطية، وقد ظهرت سلطة مراد على الإمبراطور حنا الخامس.

وسط تلك الأحداث كان العثمانيون قد دخلوا في حرب ضد الصرب في منطقة البلقان، وتحديداً في معركة كوسوفو KOSOVO وانتهت بانتصار العثمانيين انتصارا

⁽¹⁾Doukas,M.,*Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*,P.81;CF.also: Charanis,P., *The Strife Among The Palaeologi and the Ottoman Turks*,PP.301- 302;Gibbons,H.,*The Foundation of the Ottoman Empire*,P.152 .

⁽²⁾ Celik,S.,Manuel II Palalologos(1350-1425) A Byzantine Emperor in A Time of Tumult, NewYork,2021,P121.

يُنظر أيضا: زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى بينظرة وسلاجقة الروم والعثمانيون، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.، ص 170-171.

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية زمن السلطان مراد الأول (1361-1389 م/761-791هـ)

كبيراً، وذلك في عام 1389 م/791هـ⁽¹⁾ ولكن حدث وأن لقي السلطان مراد مصرعه ، ليتولى ابنه السلطان بايزيد الأول Bayzid I العرش العثماني في 1389 م/791 هـ .⁽²⁾ في نهاية تلك الأحداث التي جمعت بين بيزنطة والعثمانيين كان من الملاحظ تدخل العثمانيين في عهد السلطان مراد، وبشكل مستمر في مسألة الصراع على العرش البيزنطي ، سواء بعرضهم المساعدة لطرف ضد آخر ، أو عن طريق استدعائهم من قبل أحد الأطراف المتصارعة للوصول للحكم، فمثلا في الصراع الذي قام بين أندرونيقوس الرابع والإمبراطور يوحنا الخامس ، والذي تم على مرحلتين فالمرحلة الأولى كانت بالاتفاق مع الأمير صاووجي ابن السلطان العثماني مراد الأول على الإطاحة بوالديهما، ويرجع ذلك لشعورهم بالنقص بين إخوتهما وتفضيلهم عليهما ، فوجد كل منهما العون للآخر وأعلنوا العصيان ولكن عندما علم العاهلان بهذا العصيان تحركا علي الفور وكان العقاب بسؤال العين والزج بأندرونيقوس الرابع في السجن ، وساند السلطان العثماني أندرونيقوس الرابع، ولم يكن مساعدته رغبة في استقرار بيزنطة ، بل رغبة في زعزعة الأمن الداخلي للإمبراطورية ، وظل الوضع متزعزعا أيضا بين الأطراف بسبب استبعاد مانويل من وراثة العرش البيزنطي، ومع وفاة حنا الخامس بدأت صفحة جديدة من العلاقات البيزنطية العثمانية في عهد خليفته مانويل الثاني.

⁽¹⁾ حدث وأن قررت الدول المسيحية في البلقان أن تتحد ضد التوغل العثماني في المنطقة ، وتزعمهم لازار Lazar حاكم الصرب ، والتقت القوى المسيحية المتحالفة بالقوات العثمانية تحت قيادة السلطان مراد وابنيه بايزيد ويعقوب ، في سهل كوسوفو Kosovo (ساحة الطيور السوداء) كوسوفو Kosovo: هو السهل الذي كان يعرف باسم قوصوه عند الأتراك؛ أي السهل المتسع، يقع بين ألبانيا واليونان ومركزه بلدة برستينا Pristina، وذلك في 15 يونيو 1389 م، حيث نشبت معركة كبرى حققت فيها القوات العثمانية نصرا كبيرا على القوات المتحالفة، خلف كثيرا من القتلى والأسرى، انظر:

Wenzel,M., *The Byzantium*, London,1965,P.135 ; Bre'hier, L., *Life and Death*,P.3
⁽²⁾ عقب معركة كوسوفو مباشراً، دخل أحد نبلاء الصرب ويدعى ميلوس Milos على خيمة السلطان مراد ، متظاهراً بأن لديه أسرار هامة يريد إخبار السلطان العثماني بها ، ولكنه فاجأ حراس السلطان ، بطعن السلطان مراد وقتله ، ليتولى العرش العثماني ابنه بايزيد الذي كان يطلق عليه بالدرهم أي الصاعقة ، وتم تتويجه في سبتمبر 1389 م/شوال 791 هـ . يُنظر:

Hidden,A.,*The Otoman Dynasty*,P.258.

الخاتمة:

خلصت الدراسة في النهاية ومن خلال رصد مظاهر تدخل السلطان العثماني مراد الأول العثمانيين في الأوضاع الداخلية لبيزنطة خاصة العرش البيزنطي، أنه نجح في فرض الهيمنة العثمانية سواء بعرض المساعدة لطرف ضد آخر ، أو عن طريق استدعائه من قبل أحد الأطراف المتصارعة للوصول للحكم ، وكان ذلك بمثابة مظاهر التبعية الواضحة من جانب بيزنطة للعثمانيين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري.

قائمة المصادر والمراجع:

- الحبلي: (عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، ت1089هـ/1679م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 7 ، بيروت 1931م. شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج 7 ، بيروت 1931م.
- القرمانى: (أحمد بن علي بن أحمد، ت821هـ-1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، دار الكتب الأميرية، القاهرة، 1915م.
- ابتسام محمد أحمد العرابي: العلاقات السياسية بين بيزنطة والغرب الأوربي من 1363-1453م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة كفر الشيخ، 2018م
- ابراهيم احمد مصباح : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور حنا باليولوجوس، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة طنطا، 2009م.
- ادوارد شيفرد كريسي : تاريخ التراك العثمانيين، ترجمة: احمد سالم سالم، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر ، ط1، 2019
- أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، القاهرة، 1992م
- جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على مصر، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية 1969م،
- بيزنطة والمدن الإيطالية العلاقات التجارية 1081-1204م، القاهرة، 1998م.

العرش البيزنطي في السياسة العثمانية
زمن السلطان مراد الأول (1361-1389م/761-791هـ)

- زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- سهير محمد مليجي علي: مدينة أبيدوس البيزنطية حتى سقوط القسطنطينية عام 1402م، المؤتمر الدولي السنوي الثالث لقطاع الدراسات العليا والبحوث، م ٣، مج ١-٢، جامعة عين شمس كلية البنات لأداب والعلوم والتربية، أسوان 2019م.
- صلاح محمد ضبيع: فتح القسطنطينية العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد آل باليولوجوس، المكتب العربي للمعارف، ط 1، القاهرة، 2009م.
- طارق منصور: القسطنطينية في الكتابات الصليبية 1096-1402م، دراسة تحليلية للرؤى الصليبية لمدينة قسطنطين، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب جامعة القاهرة، ال عدد 29، يناير 2006م.
- محمد فريد : - تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط 1، دارالنفائس، القاهرة، 1896م.
- محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1981م
- مبارك محمد الطراونة: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة، (الأردن، المكتبة الوطنية 2010م
- مخلف عبد الله صالح: إمارة قرمان في السياسة المملوكية العثمانية، 654-888هـ/1256-1483م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ال البيت الأردن، 2015م.
- محمد فؤاد كوبرلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، القاهرة 1993م.
- محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط 1، القاهرة، 2002.
- نيقولا فاتان: صعود العثمانيين 1362-1451م، ج 1، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م

- Asikpasaoglu," *Asikpasaoglu Tarihi*", Hazirlayan, H. Nihal Atsiz, Ankara, 1985.
- Charanis, P., *The Strife Among the Palaeologi and the Ottoman Turks, 1370-1402*, in Byzantion, Vol. XVI, Boston, 1942-1943
- Clavigo, *Emabssy to Tamerlane, 1403-1406*, Tr. From the Spanish by Guy Lestrang, First Published, London, 1928
- Doukas, M., *Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, Tr. From "Historia Turco - Byzantion " by Harry J. Magoulias, Wayne State University, 1975
- George Phrantzes, *Annales, 1259-1477*, ed, by I Bekker, C. S. H. B , Bonne, 1838.
- Phrantzes , G., *Annales, 1259-1477*, Bonne, 1838 .
- Alexander Millingen, *Byzantine Conatantinople*, London, 2004
- Alxander P. Kazhdan, *The Oxford Dictionary of Byzantium*, Oxford, 1992,.
- Barker, J.W., *Manuel II Palaeologus, 1391-1425*, A Study in Late Byzantine Statesmanship, New Jersey, 1969
- Brehier, L., *Vie et Morte de Byzance*, (Paris 1946)
- Browning Robert, *The Byzantine Empire*, New-York, 1980,
- Celik, S., *Manuel II Palalologos (1350-1425) A Byzantine Emperor in A Time of Tumult*, New York, 2021.
- Charanis, "The Strife Among the Palaeologi and The Ottoman Turks," 1370-1402", Creasy, S., *History of the Ottoman Turks*, Cheyney, E., *The Dawn of A New Era*, U.S.A., 1936.
- Dereksen, D., *The Crescent and the Cross*, New York, 1964,
- Edward S., *History of the Ottoman Turks*, Beirut, 1968.
- Inalick, H., *The Ottoman Empire: the Classical Age, 1300-1600*, London, 1973.
- Emmenul, B., *Histoire de L'Europe*, Pairs, 1945.
- Gibbons, H., *The Foundation of the Ottoman Empire: A history of the Osmanlis up to the Death of Bayezid I, 1300-1403*, Oxford, 1916.
- Greasy, E., *History of the Ottoman Turks*, Beriut, 1968.
- Grousset, R., *L'Empire Du Levant*, (Paris, 1946)
- Hammer, V., *Histoire De L'Empire Ottoman* ,Tr .by. J. Hellert, Tom.I, Paris, 1841-1853